نوروز

نبذة تاريخية

زبير بلال إسماعيل

تعتبر الأعياد السنوية عند بعض الشعوب الآرية (مثل الاكراد) قديماً أعياداً زراعية تتصل عادة بأعمال المزارع . ولما إعترف بهذه الأعياد صار الأحتفال بها ذا مراسيم مع إحتفالات سحرية في الأصل ولكنها إختصرت كثيراً الى مراسيم عادية يصحبها كثير من الملاهي الشعبية من كل نوع . ووفقاً للخيال الذي ألفه الكتاب في الخرافات الشعبية أصبح معظم هذه الأعياد متصلاً بالتاريخ الخرافي . فهذا العيد (أي نوروز) قد عيد تمجيداً لذكرى هذه الحادثة التي وقعت أيام (جمشيد) أو أفريدون أو غيرهما من الأبطال الخرافيين . وكان النوروز اكبر الأعياد الشعبية قديماً ، وهو يوم رأس السنة ويصادف أول الربيع وكان الناس فيه يستريحون ويحتفلون بالعيد[1] .

وقد تحدث عن هذا العيد البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد المتوفى سنة 440هـ) حيث قال على لسان سعيد بن الأفضل : (جبل دما ـ دماوند ـ يرى عليه كل ليلة نوروز بروق تسطع وتلمع على صحو الهواء وتغيمه على كل حال من الزمان) . وأفاد أيضاً بظهور النيران والشموع التى لاتحصى في الليلة التي يكون في صبيحتها النوروز[2] .

إن النوروز يعني اليوم الجديد ، ويعود الى أيام جمشيد ، وفي عهده صير عيداً ، وقد جرى الرسم بتهادى الناس فيما بينهم السكر ذلك لان قصب السكر إنما ظهر في مملكة جم (جمشيد) يوم النوروز ولم يكن يعرف قبل ذلك الوقت . والجدير بالذكر إن جم أو جمشيد من ملوك التاريخ الاسطوري الذي يعود الى أيام البيشداديين ، وقد تحدث عن هذا العيد عدا البيروني كتاب من العرب وغيرهم ، كما أن شعراء كالفردوسي ومنوجهرى قد تغنوا به . إنه عيد ربيعي قد حفظ بعض خصائص الزكموك Zagmok الذي هو عيد البابليين القدماء . وكان العيد يستمر ستة أيام متوالية[3] .

ويذكر إن أهم الأعياد عند البابليين كان عيد رأس السنة

الجديدة ويحل هذا العيد في الربيع في شهر نيسان . وقد نشأ هذا العيد أصلاً كعيد من أعياد الطبيعة وهو يتميز بنوعين من المظاهر ويعبر المظهر الاول عن حزن الطبيعة على موت كل الأشياء النامية ويعبر المظهر الثاني عن فرحة الطبيعة لعودة الحياة الى هذه الأشياء ، ويستمر عيد رأس السنة في بابل إثنى عشر يوماً[4] . وكان التقويم القمري ـ الشمسي البابلي يتألف من إثنى عشر شهراً ، ويتألف كل شهر من ثلاثين يوماً ، ومادامت دورة الاثنى عشر شهراً تتألف من (360) يوماً فقد تقرر إضافة شهر كبيس في فترات منتظمة تقع إما في منتصف السنة أو في آخرها ويسمى هذا الشهر الكبيس باسم الشهر السابق له مثل أيلول ثاني . أما عن بداية السنة بشهر نيسان فان هذا يعني إن هذه البداية تتطابق في الوقت مع الهلال الجديد الذي يلي الأعتدال الربيعي[5] .

وقد جعل اليونانيون الربيع أول السنة الجديدة ، حيث إقبال الحرارة وتجدد الحياة وزوال البرد . والواقع إن اليوم الاول واليوم الأخير من النوروز كان يحتفل بهما إحتفالاً يحوى كل المظاهر الشعبية قبل الأسلام . أما ما يذكر عن علاقة هذا العيد بقصة (البيورآسب) أو الضحاك فالجدير بالذكر إن الضحاك كان الملك الخامس من ملوك الأسرة الخرافية التي تسمى بأسرة الپيشداديين (وكان أولهم هو شنك) ، وتروى عن أخبار الضحاك (أن حيتين كانتا في كتفيه تعتريانه لا تهدئان الاّ بأدمغه الناس ، وإنه كان ساحراً بطبيعة الجن والأنس وملك الأقاليم السبعة ، وإنه لما عظم بغيه وزاد عتوه وأباد خلقاً كثيراً من أهل مملكته ظهر رجل من عوام الناس وذوى النسك منهم من أهل أصبهان إسكاف (كابى) ورفع راية من جلود علامة له ، ودعا الناس الى خلع الضحاك وقتله وتمليك أمزيدون ، فاتبعه عوام الناس وكثير من خواصهم ، وسار الى الضحاك فقبض عليه وأنفذه أمزيدون الى أعلى جبل دباوند (بين الري وطبر سكان) فأودع هناك وإنه حي الى هذا الوقت مقيد هناك .. وعظم إبتهاج الناس بما نال الضحاك بجوره وسوء سياسته وتيمنوا بتلك الراية فسميت بـ (درفش كابيان) إضافة الى كابى صاحبها والدرفش يعني الراية ..)[6] . ورواية المسعودي نفسها ذكرها الفردوسي في (شاهنامه) ووصفها بشعره وصفاً بارعاً . وقد أورد الفردوسي الحكاية وملخصها : (إن الخوف والذعر دب بين الناس فهجروا البلاد والمدن الى رؤوس الجبال وأعماق الوديان فضج الشعب وثار فيهم (كاويان) الحداد فاجتمع حوله خلق كثير من الناقمين على هذه الحالة ، والفارين من وجه المظالم الى الجبال ، فما كان من الحداد المذكور الا أن جعل (بشكيره) الجلدي على رأس عمما كرايةً ، وقاد الثائرين على ذلك الملك الطاغيةَ .. فتم خلع الضحاك وأسرته الملكية وأصبحت تلك الراية الجلدية مقدسة فيما بعد حيث إشتهرت باسم (درفش كاوياني)[7] ..

وقال المسعودي أيضاً في مروج الذهب (.. وذهب كثير من الناس الى أن الغيرورفي أيامه أحدث (يقصد أفريدون) وفي ملكه رسم ..) وتحدث عن الضحاك فقال : (ثم ملك بيور أسب وسماه قوم من العرب الضحاك وقتل جمشيد الملك ثم ملك أفريدون ـ حفيد جمشيد ـ فأخذ بيور اسب فقيده في جبل دباوند . وقد ذكر كثير من الفرس ومن عنى بأخبارهم ، إن أفريدون جعل هذا اليوم الذي قيد فيه الضحاك عيداً له وسماه (المهرجان ..)[8] وقد ذكر كريستنسن المهرجان وقال : (وكان المهرجان عيداً كبيراً جداً وهو عيد (ميترا) ، يحتفل به يوم مهر (16 من شهر مهر) ، وكان في الأزمنة القديمة يوم رأس السنة ، وقد إحتفظ بكل تقاليده ، وكان المهرجان كالنوروز إحتفالاً بخلق الأنسان والأرض[9] .. وقال أيضاً (ويظهر إن السنة كانت تبدأ بشهر مهر في العصر السابق على الساسانيين وكان المهرجان عيد الخريف أول أيامها ، ولكن هناك دلالات في التقويم تفيد إنه عندما إتخذ أول الربيع مبدأ للسنة فيما بعد صارت السنة المصطلح عليها

تبدأ بشهر داد (شهر أهورامزدا) وقد أصبح جلياً من الأبحاث إنه وجد أيام الساسانيين نوعان من التقويم الأول ديني ، وقد روعي فيه أن يكون بدء السنة قريباً من إبتداء الربيع ، والثاني مدني ...)[9] . وكان البيروني قد قال عن المهرجان (..وتفسيره محبة الروح ، وقد قيل إن مهر هو إسم الشمس ، وإنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمي بها ، وزعموا أن تخصيصهم إياه بالتعظيم بسبب إستبشار الناس لما سمعوا خروج أفريدون بعد أن وثب كابى على الضحاك (بيور اسب) وطرده ودعا أفريدون ، وكابى هو الذي يثمن بعلمه ورايته وكانت من جلد دب ويقال أسد وسمي درفش كابيان ، ورصع بعده بالجواهر والذهب)[11] .

وقال المسعودي : (وبين النوروز والمهرجان مائة وأربعة وسبعون يوماً)[12] .

وتحدث البيروني عن حادث الضحاك وعلاقته بالنيران فقال : (وقيل أن السبب في رفع النيران في هذه الليلة أن بيوراسب لما وظف على الناس كل يوم نفرين ليطعم أدمغتهما حيتيه كان الموكل بذلك بعد أول تقدمه يسمى (أزمائيل) فكان هذا الموكل يعتق أحد النفرين ويعطيه زاداً ويأمره أن يسكن الجبل الغربي من دبناوند ويبني لنفسه هنالك بنياناً ويطعم الحيتين دماغ كبش بموضع الاسير المخلى يخلطه بدماغ الآخر المقتول . فلما ظفر أفريدون ببيوراسب أمر بأزمائيل فأخذ ليعاقبه على قتله الناس فأخبره خبر المعتقين وصدقه عن ذلك وسأله أن يخرج رسولاً معه ليريهم إياه ففعل وأمر أزمائيل المعتقين أن يوقدوا النيران على سطوح ديارهم ليرىٰ عدتهم وكان ذلك في الليلة العاشرة من (بهمن ماه) فقال له الرسول كم أهل بيت قد أعتقتهم فجزاك الله خيراً وانصرف فأخبر أفريدون بذلك فسر به سروراً شديداً وقصد دبنا وند بنفسه حتى عاين ذلك ثم شرف أزمائيل وأقطعه دبناوند وأجلسه على سرير من ذهب وسماه (مصمغان) ...)[13] .

وقد تغنى بنوروز كثير من الشعراء وخاصة شعراء العصر العباسي ، وذكره المؤرخون والرحالة مثل المسعودي والبيروني ، والأدباء مثل الجاحظ في كتابه (التاج) وفيه ذكر : إن الضرائب المجبية تقدم للملك في النوروز ، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم ، وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ..)[14] وكان الملوك يسعدون رعاياهم في جميع الولايات في هذا اليوم السعيد ، وكان من يشتغل يستريح ويحتفل بالعيد ، وفي هذه الأيام يجلس الملوك للعامة ويقابلون العظماء ، ويقدمون لهم الهدايا ، وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته[15] . إن الملوك الساسانيين الأول كانوا يجلسون للعامة مرتين في السنة يوماً في النوروز ويوماً في المهرجان ولا يحجب عن الملك في هذين اليومين لا صغير ولا كبير ولا جاهل ولا شريف ، وكان الملك يأمر بالنداء قبل جلوسه بأيام ليتأهب الناس لذلك[16] . وكان العظماء يقدمون الهدايا للملك في عيدي النوروز والمهرجان . وكان بعض الملوك يأمرون باخراج ما في خزائنهم في المهرجان والنوروز من الكسي فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على سائل الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون إن الملك يستغني عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف[17] .

والنوروز الذي يعني اليوم الجديد كما ذكرنا أو عيد رأس السنة أو بداية السنة الجديدة حيث تتجدد الحياة وتلبس الأرض حلة قشيبة من الخضرة والأزهار وتبرز فتنتها وزينتها فكأنها تحتفل بها ، أقول لقد تغنى الشعراء الكرد بهذا اليوم مثل الشاعر ملاى جزيري وأحمدي خانىّ ومەولوى وپيرەميرد وغيرهم . وقد جعل هؤلاء نوروز عيداً للفرح والصفاء وإطلالة الورود والأزهار، وتولى البرد والشتاء وقدوم الربيع ، في حين جعل البعض فهم نوروز العيد القديم للشعب الكردي رمزاً للنضال والأنطلاق . أما النار فأشارة الى النور وزوال الظلام وإقبال الدفء وإنبعاث الحياة في النبات مهما يكن فان النوروز

يودع البرد والشتاء ويستقبل الحياة المتجددة والدفء والأمل والتفاؤل بالسنة الجديدة وآمالها المرتقبة والأحتفال بهذا العيد علامة على السرور والابتهاج والخلاص . إن الأحتفال بالنوروز لا يقتصر على انه مجرد خيال أدبي بل يعكس لنا ظواهر إجتماعية وإن أصوله ترجع الى عوامل إجتماعية وسياسية ونفسية ، إن بعض أعمال المغامرة التي تشاد بها لها أساس تاريخي ولكن الناس أدخلوا فيها بواعث وحوافز أو عادات لا تقوم على واقع أو اساس تاريخي كتلك التصورات والأوهام المبالغ فيها عن مقدرة البطل وشجاعته ..

يعتقد من وجهة النظر التاريخية إن نوروز يمثل عصر بطولة شعب كان سائراً نحو التكون ليلعب دوراً على اساس من البناء القبلي ، ودخل الى مرحلة جديدة يمكن تعريفها بانها عصر بطولة ، وربما رافق ذلك عهد الهجرات القومية في التاريخ القديم . إن عصور البطولة كانت كلها عهوداً بربرية بوجه اساسي . وقد وضعت ملاحم شعرية لتخليد تلك العصور[18] .

المصادر :

1 ـ كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب القاهرة 957 ص 163 وما بعدها .
2 ـ البيروني : الآثار الباقية من القرون الخالية طبعة ليبزك 1923 ص 215 وما بعدها .
3 ـ كريستنسن : المصدر السابق .
4 ـ جورج كونتنينو : الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور ترجمة سليم وبرهان التكريتي وزارة الثقافة والاعلام بغداد 1979 ص 474 .
5 ـ المصدر السابق ص 376 — 377 .
6 ـ المسعودي (علي بن الحسين المتوفي سنة 346هـ) : التنبيه و الاشراف . دار التراث بيروت ص 75 — 76 .
7 ـ أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد ط ٢ بغداد 1961 ص 46 — 47 والحاشية نقلاً عن شاهنامه .
8 ـ المسعودي : مروج الذهب . دار الأندلس بيروت 1965 (246/1 — 247) .
9 ـ كريستنسن : المصدر السابق ص 163 .
10 ـ المصدر السابق ص 161 .
11 ـ البيروني : الآثار الباقية ص 222 (ويبدو إن زهماوند الكردية لها علاقة باسم دماوند الجبل الذي قيد فيه الضحاك) .
12 ـ المسعودي : مروج الذهب (2 / 186) .
13 ـ البيروني . المصدر السابق ص 227 .
14 ـ الجاحظ : التاج ص 146 .
15 ـ كريستنسن : ص 162 — 163 .
16 ـ المصدر السابق ص 287 .
17 ـ الجاحظ : التاج ص 146 — 150 .
18 ـ صموئيل كريمر : من الواح سومر . ترجمة طه باقر ص 331 وما بعدها نقلاً عن الباحث الانكليزي مونرو تشادوك في كتابه عصور البطولة .

استفتاء جماهيري

... تعلن الهيئة الاستشارية الاعلامية في محافظة أربيل عن اجراء استفتاء جماهيري لاختيار أفضل الاغاني الفردية والجماعية التي قدمها التلفزيون وتغنت بحب فارس الامة وبطل التحرير القومي الرئيس القائد صدام حسين ، وبانتصارات جند القادسية الثانية الميامين على العدو الفارسي اللئيم والمعبرة عن حالة النصر ونشوة الفخر في نفوس العراقيين جميعاً وتلاحم جبهتنا الداخلية ودعمها المتواصل للمعركة أو بتجديد البيعة والولاء لقائدنا المنتصر ..

... وذلك ضمن مهرجان اسبوع قادسية صدام الخالدة في الفترة من 21 ـ آذار ـ (عيد النوروز) ولغاية 6 نيسان / 1983 وتحت شعار (كل شئ من اجل النصر) وسيتم توزيع بطاقات الاستفتاء المعدة لهذا الغرض على جماهير المحافظة لاختيار :

1 ـ أفضل أغنية فردية عربية .
2 ـ أفضل أغنية فردية كردية .
3 ـ أفضل أغنية جماعية .

... وبالامكان ان يشارك في هذه المسابقة ايضاً المواطنين كافة من المحافظات الاخرى بارسال آرائهم الى الهيئة الاستشارية الاعلامية في محافظة أربيل / مديرية الثقافة الجماهيرية قبل تاريخ 20 / آذار / 1983 ..

... وسوف توزع الجوائز على اصحاب الاغاني الفائزة (مؤلفين ـ وملحنين ـ ومطربين) وعلى أصحاب الاختيارات المطابقة لنتائج الاستفتاء للثلاث مراكز الاولى في الحفل الفني الختامي للمهرجان يوم 6 / نيسان / 1983 من قبل السادة المسؤولين بالمحافظة ...

مع اطيب التمنيات بالتوفيق ... والنصر الدائم ...

يحيى محمد رشيد

محافظ أربيل

رئيس الهيئة الاستشارية الأعلامية